القصر الملكي بفاس الجديد

المعالم العمرانية لفاس الجديد المرينية

د.عبد الباسط المستعين

كاتب وباحث في تاريخ المدينة المغربية

المملكة المغربية

abdelbasset73@yahoo.fr

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عبد الباسط المستعين ، المعالم العمرانية لفاس الجديد المرينية.- دورية كان التاريخية.- العدد السابع ؛ مارس ٢٠١٠. ص ١٩ – ٢٨. (www.historicalkan.co.nr)

مقدمة

تحتل مدينة فاس مكانة متميزة بالنظر إلى الدور الحيوي الذي لعبته في تاريخ المغرب سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي ، وكانت وما تزال من أهم المراكز الحضرية في البلاد التي تسترعي اهتمام السلطة الحاكمة. ولقد حققت ذروة ازدهارها ومنتهى الأهمية التي حظيت بها في العصر الوسيط ، ونظرا لهذه الحظوة فقد شهدت تطورا مستمرا منقطع النظير مع تعاقب الأسر الحاكمة. وقد لا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا أن فاس في العصر المريني كانت تتألف من ثلاث مدن مندمجة على الأقل ، عدوة الأندلس أو البليدة أي فاس الأصلي التي تعود حسب بعض الدراسات إلى عهد إدريس الأول ثم عدوة القرويين أو العالية التي تعود إلى عهد إدريس الثاني ، وتشكل العدوتان في مجموعهما فاس البالي ذي الأسوار الجامعة مع إضافة بعض القصبات في العصرين المرابطي و الموحدي. وأخيرا فاس الجديد أو المدينة البيضاء أو البلد الجديد الذي أسس من قبل المرينيين وهو موضوع هذه الدراسة التاريخية العمرانية.

وإذا كانت فاس العتيقة قد نالت الحظ الأوفر من الأبحاث فإن الدراسات التي تهم فاس الجديد لا توازيها من حيث الكم و النوع. وربما يعود السبب إلى الثقل الديمغرافي والاقتصادي فضلا عن السبق التاريخي للقسم الأول من المدينة.

إن التعرف عن المكونات العمرانية لفاس الجديد المرينية تعترضه عدة صعوبات منها ندرة المادة المصدرية ؛ فرغم وفرة المصادر التي تغطي الحقبة المرينية والمعاصرة لفترة إنشاء فاس الجديد ، فإن حديثها عن المعالم العمرانية للمدينة لا يتجاوز العرض الاحتفائي بمنجزات هذا السلطان أو ذاك في سطور وجيزة وإشارات عرضية عابرة لا تفي بالغرض كما أن استمرار مدينة فاس في موقع الريادة و مكانتها المهمة في عصر الأسر التي خلفت المرينيين في حكم المغرب ، جعلتها محط عناية تجلت فيه تأسيس المزيد من المنشآت التي ساهمت في تغيير ملامح المدينة المرينية الأصل ، إن جزئيا أو كليا.

كل هذا لا يمنع من تناول موضوع التشكيل العمراني لفاس الجديد المرينية ونفض ما تراكم عنه من غبار الحقب والعصور ، عسى أن يكون ذلك لبنة في حلقة الدراسات المونوغرافية والتاريخية والحضرية التي تنصب على وطننا الإسلامي و العربي عامة وعلى المغرب الأقصى خاصة.

فما هي ظروف تأسيس فاس الجديد ودوافعها ؟ وما هي المعالم الكبرى للمدينة وطابعها العمراني خلال الفترة المرينية ؟

نظرة تاريخية حول

أهمية فاس الجديد وظروف نشأتها

لقد كانت مراكش العاصمة السياسية للإمبراطوريتين المرابطية والموحدية لمدة تزيد عن قرنين من الزمن لكن المرينيين بالنظر إلى ظروف سيطرتهم على المغرب ، فضلوا أن يحولوا العاصمة إلى فاس. ويتفق كل من الحسن الوزان ومارمول كربخال على أن أسباب هذا التحول تعود إلى رغبة المرينيين في القرب من مملكة تلمسان التي كانوا معها في حرب دائمة[1]. لكن ما هو السبب الذي دفع المرينيين إلى اتخاذ مدينة جديدة بدلا عن فاس القديمة ؟

١-وصف إفريقيا – ج I-ص ٢٨٢ / إفريقيا – ج II. ص ١٤٤.

يعزو أحد الباحثين سبب استحداث فاس الجديد إلى عاملين أساسيين: هما ضيق القصبة الموحدية لإيواء جنود المرينيين وجميع أتباعهم ، ثم الرغبة النفسية والتقليد التاريخي لدول هذه الفترة التي تثبت مشروعيتها بتشييد الجديد[٢] . إن هذين العاملين وجيهين لكنهما في نظرنا غير كافيين لتبرير عمل لا تنحصر دوافعه في الجانب التعميري فحسب ، بقدر ما تتجاوز ذلك إلى أهداف أكثر عمقا و جدارة.

إن تتبع مسار الأحداث التي واكبت قيام الدولة المرينية يمكن أن يساعدنا على استكشاف الدوافع الحقيقية في اتخاذ مدينة أخرى بجانب المدينة السابقة كعاصمة لهم. فقد دخل أبو يحي المريني إلى فاس منذ سنة ٦٤٥هـ ومكث فيها زهاء سنة ونصف وخرج بعد ذلك في أحد حروبه ، فاستغل السكان فرصة غيابه وثاروا لصالح الموحدين ، ولم يتمكن من استرجاع المدينة إلا بعد حصارها لمدة تسعة أشهر ، مما يوحي أن استحداث المدينة الجديدة كانت له مرامي أمنية تكمن في ترسيخ نفوذ الدولة وتعزيز حضور القبائل المساندة لها في العاصمة من جهة ، ومراقبة المدينة القديمة و التحكم في ساكنتها من جهة ثانية ، ثم الفصل بين جيوشه حديثة العهد بالبداوة و الحضر من أهل فاس من جهة ثالثة[٣] .

ومهما يكن ، فإن مركز السلطة بمدينة فاس والمغرب عموما خلال العصر المريني ، صار هو فاس الجديد منذ الإقدام على تأسيسها. فما هي ملابسات هذا التأسيس؟ على خلاف المدن المغربية في العصر الوسيط ، تجمع المصادر حول مؤسس هذه المدينة وتاريخ تأسيسها بالسنة والشهر واليوم ، حيث اتفق كل من صاحب "الذخيرة السنية" و"روض القرطاس و"روضة النسرين" و ابن خلدون و الوزان ؛ على أن تأسيسها كان في الثالث من شوال سنة ٦٧٤ هـ[٤] . أما مؤسسها فتؤكد نفس المصادر أنه هو أبو يوسف يعقوب[٥] ، المؤسس الفعلي لدولة بني مرين ، مباشرة بعد تحقيقه لنجاحين كبيرين ومترادفين ، وهما: الانتصار في المعارك التي خاضها بالأندلس[٦] والرجوع منها بغنائم وافرة وعدد كبير من الأسرى ، ثم التمكن من دخول مراكش والقضاء على المرتضى آخر ملوك الموحدين[٧] .

وهنا يكمن في نظرنا سبب آخر كان حافزا لتأسيس المدينة ، ألا و هو دور الغنائم الأندلسية في تمويل مشروع بنائها وما يتطلبه من نفقات ضخمة ، كان من المستبعد الإقدام عليه في غياب هذه الموارد[٨] ، هذا فضلا عن استخدام الأسرى النصارى في عمليات التشييد[٩] .

٢- فاس قبل الحماية— ج I. ص ٩٧.
٣. المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا الحسن . ص ١١٦,
٤- الذخيرة السنية. ص ١٦١ .روضة النسرين . ص ص ١٩ . ٢٠ / روض القرطاس. ص ٤٠٤ .العبر . ج VII . ص ٢٥٨ . وصف إفريقيا- ج I. ص ٢٨٢.
٥. أ ثبته كذلك ابن مرزوق في "المسند الصحيح" . ص ١١٦.
٦. حول هذه الانتصارات ، انظر: الإحاطة بأخبار غرناطة . ج IV . ص ٣٥٩.روض القرطاس. ص ص ٣١٣ و ٣١٥ إلى ٣١٩... .
٧. حول إخضاع مختلف أطراف المغرب الأقصى ، انظر: روض القرطاس. ص ص ٣٠٧ إلى ٣١٢.
٨. حتى قيل "وامتلأت أيدي بني مرين بالغنائم" روض القرطاس. ص ٣١٥ وقيل أيضا: "و فاضت الغنائم هنالك فيض النيل" م ن . ص ٣١٦ ، و حتى "بيعت الرومية بمثقال و نصف" م ن . ص ٣٢١ و"الغنم بدرهم للشاة" م ن . ص ٣١٩.
٩. الذخيرة السنية . ص ١٦٢.

وعلى عكس الانحدار المميز لموضع فاس القديمة ، فإن فاس الجديدة تمتاز بموقعها السهلي[١٠] المنبسط ، و لا تبعد عن نظيرتها سوى بحوالي "ألف قدم"[١١] ، أو "رمية بندقية"[١٢] ، وبالضبط قرابة ٦٧٥ متر[١٣] . كما تؤكد المصادر أنها بنيت منذ أول وهلة على شكل قصبة ، مما يفسر دورها الإداري والعسكري ، فقد اتخذها بنو مرين موطن قرارهم و محط رحالهم ، فكانت مقرا للسلاطين وأعوانهم ووزرائهم وقادة الجند وأهم أطر الدولة ، كالمحتسب والقائم على دار السكة ... ، كما ضمت معسكرات الجيش المريني بما تطلبته من أبراج وحصون واصطبلات وغيرها.

المكونات العمرانية الكبرى لفاس الجديد في العصر المريني

تشكلت فاس الجديد* في العصر المريني من ثلاث وحدات عمرانية كبرى لم يتم تشييدها دفعة واحدة ، و إنما تأسست في مراحل تاريخية متفاوتة لكنها متقاربة ، وهذه الوحدات بلغت من الأهمية بحيث وصفها العمري بأنها ثلاث مدن متراصة[١٤] ، ويقاربه في ذلك ، و هي كما وردت في المصادر كالآتي:

١- المدينة البيضاء:

هي دار الإمارة[١٦] ، أو دار الملك[١٧] التي اتخذها السلاطين المرينيون مقر أعمالهم ومركز قراراتهم السياسية والعسكرية. وقد كانت معدة لسكنى السلطان وذويه ، وهي أول ما أسس أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٧٤هـ، إلا أن القسم الخاص منها بعامة أشياع الدولة والمرافق العامة التي تحتاجها المدينة ، يظهر أن تأسيسها تأخر إلى سنة ٦٧٩ هـ[١٨] . وهي "آخذة من شمالي ربض النصارى إلى ضفة النهر ويقع أول عمارة فاس الجديد قبالة آخر عمارة فاس العتيقة"[١٩] .

٢- ربض النصارى:

يحدد العمري موقعها "قبالة فاس القديمة على بعد من ضفة الوادي من غير مسامتة ولا مد .."[٢٠] ، ويحدد وظيفتها في أنها كانت "... لسكنى الطائفة الفرنجية المختصة بخدمة السلطان"[٢١] .

١٠. إفريقيا - ج II .ص ١٥٥ .تاريخ الشرفاء .ص ١٤٦.
١١- إفريقيا - ج II .ص ١٥٥.
١٢. تاريخ الشرفاء .ص ١٤٦.
١٣. فاس في عصر بني مرين . ص ٢٦.
* . تسمى أيضا: المدينة البيضاء .انظر: المسند الصحيح الحسن . ص ص ١١٦ و ١٢٢و ٤٠٥ ... .كما سميت: البلد الجديد: انظر: العبر . ج VII . ص ٢٥٨ .روضة النسرين . ص ص ١٩ .روض القرطاس. ص ٣٢٢ .مسالك الأبصار . ص ١١٤. و أطلق عليها كذلك اسم: فاس العليا و المدينة المرينية . انظر: سلوة الأنفاس . ج III . ص ٢٧٢ .
١٤- مسالك الأبصار. ص ١١٤.
١٥. صبح الأعشى . ج V . ص ١٥٤ .
١٦ . روضة النسرين . ص ١٩ . النفحة النسرينية و اللمحة المرينية . نسخة إلكترونية .ص ص ٩ . ١٠ حسب الترقيم الآلي .
١٧. فيض العباب . ص ١٥٤.تحفة النظار. ج IV . ص ٢٠٢ .اللمحة البدرية في الدولة النصرية . ص ١٠٦.الذخيرة السنية . ص ١٦١ .
١٨- ورقات عن حضارة المرينيين . ص ٤٣ .
١٩- مسالك الأبصار .ص ١١٥.
٢٠- نفسه.
٢١- نفسه.

ولقد ذكر ابن مرزوق، بأن أبا يوسف يعقوب المريني "خص النصارى الخدام بمسكن يميزون به عمن عداهم"[٢٢]، وهكذا أخرج السلطان المذكور "أجناد الروم الذين يسكنون مدينة فاس عنها وبنى لهم حظيرة بخارج المدينة وأسكنهم فيها ورفع أذاهم عن الناس"[٢٣]. ويرى الأستاذ المنوني أن المدينة المعروفة بربض النصارى كانت معدة "لسكنى فرقة الروم القشتاليين الذين كانوا منتظمين في الجيش المريني"[٢٤].

٣- حمـص:

وهي الوحدة الأخيرة ضمن المتخذات الثلاث التي تشكل فاس الجديد[٢٥]. يقول عنها العمري: "مدينة حمص ويعرف موضعها بالملاح، بناه أبو سعيد عثمان أبي يوسف .... إلى جانب البيضاء"[٢٦]. ويحدد موقعها كالآتي: "وحمص راكبة على النهر بشمال على جانب فاس الجديدة آخذة إلى ربض النصارى عقد على الوادي قناطر وبنيت حمص على ضفته وهي فوق الجميع لأن الوادي منها ينحدر..."[٢٧].

ويستنتج لوطورنو أن هذه المدينة استقت اسمها من اسم المدينة السورية التي ينتمي إليها الرماة الذين استقروا هناك[٢٨] في بداية الأمر قبل أن يعوضهم في سكناها اليهود[٢٩] فيما بعد. لكن ثمة اختلافات كبرى بين المؤرخين والباحثين في التاريخ الذي انتقل فيه اليهود إلى هذا المكان[٣٠]. ويبدو أن فاس الجديد لم تحافظ على هذا المظهر العام بحيث ساهمت الأحداث المتوالية وتداخل العناصر البشرية في تغيير مورفولوجية المدينة، وهو ما يمكن استنباطه من الأوصاف التي نستقيها من كتابات الوزان ومارمول حول المدينة في فترة لاحقة والتي تكشف عن حجم التطور الذي شهدته.

أهم المرافق العمرانية لفاس الجديد في عصر بني مرين: وظائفها وخصائصها المعمارية

رغم طابعها الخاص، فقد تميزت مدينة فاس الجديد بتنوع وتعدد مرافقها الحضرية على مستوى الوظائف والأشكال والأحجام. ونرصدها كما يلي:

١- مؤسسات سلطانية: القصور

أ- القصر الرئيسي: من أولى المنشآت بالمدينة[٣١] بعد بناء السور، وهو بناية ضخمة تشغل مساحة شاسعة، تعكس قوة الدولة وسيطرتها، ويتجلى ذلك من خلال بعض الأوصاف التي خلفتها لنا المصادر. يصف العمري هذا القصر قائلا: ".... وهو عالي البناء ذو قباب عليه ضخمة لائقة بالملوك وغرف مرتفعة، ورفاف علوية، ومجالس سلطانية، وبداخله القبة المعروفة "بقبة الرضا" وهي قبة عظيمة الارتفاع خارقة الاتساع، وقدامها بركة ممتدة بها مركب لاتساعها وكبرها، وخلفها بركة أخرى مثلها، بها مركب آخر لاتساعها وكبرها، ومساحة المركبين واحدة، والقبة العظمى بينهما، وفي نهاية كل بركة قبة لطيفة المقدار وفي جميع جدر القباب شبابيك مطلة والبستان حاف بالجميع، وهو بستان جليل منوع بصنوف الأشجار والغراس على اختلافها"[٣٢].

ب- الدار البيضاء: أحد القصور الذي شيد بالبلد الجديد سنة ٦٨٦ هـ[٣٣]، ويشير العلامة المنوني إلى "أن قطعة من روض القرطاس بها زيادات على المطبوع تشير إلى أن هذه هي دار الدبيغ التي يقال لها الدار البيضاء، كما يذكر رواية ابن خلدون في العبر أن السلطان أبا سعيد أنزل ابنة أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره ..."[٣٤].

ج- قصور أخرى: لقد اهتم المرينيون غاية الاهتمام بتشييد القصور والاعتناء بها، فتعددت قصورهم كثرة. جاء في "روضة النسرين" حول عناية أبو يوسف مؤسس الدولة المرينية وبنيه بالقصور أنها "كلفت همم الملوك (المرينيين) ... فشيدوا القصور الضخمة الرائعة المنظر المختلفة الأسماء"[٣٥]، ويكفي لمعرفة قدر هذه القصور وحجم الحظوة التي نالتها في هذه الفترة الوصف العرضي الذي أورده ابن الخطيب حول الحريق الذي التهم جزءا منها، فيذكر أن النار "اصطلمت القصر المعروف بأبي فبر مطرح الأموال المجموعة ... المشتملة دوره وزواياه على الكثير من عدد الملوك، وآلات الحركات، وأجرام المنشآت، وثمين السلع من اللك ... والعاج والأبنوس والصندل وشبهه.

ثم تعدت إلى دار الصنعة وبها ما لا يأخذه الوصف من السروج والمهندات ونقر الذهب والفضة إلى الموازين وآلات الخيل ثم اتصلت بدار الديباج فالتهمت الحرير والأثواب وآلات النسيج ضخام المناول ..."[٣٦]. كما كانت هناك قصورا أخرى خارج المدينة كقصر رأس الماء الذي يذكر الجزنائي[٣٧] وابن الأحمر[٣٨] أن أباسعيد الأول شرع في تأسيسه على مشارف وادي الجواهر عند الموضع المعروف برأس الماء.

٢- منشآت عسكرية: تحصينات المدينة

تؤكد بعض الدراسات على الخاصية العسكرية لفاس الجديد والتي يمكن أن تستشف من طبيعتها المعمارية[٣٩]، كقلة الأبواب والسور المزدوج المزود بالعديد من الأبراج، فضلا عن معسكرات الجيوش وقصباتهم واصطبلاب خيولهم. وفيما يلي عرض لأهم التحصينات التي عرفتها المدينة خلال الفترة المدروسة:

أ- الأسـوار: تتفق العديد من المصادر[٤٠] التي تعرض لفاس الجديد حول ازدواجية السور الذي يحيط بها والذي لا شك أنه يلبي رغبة أكيدة لدى مشيدي المدينة في تحصينها الجيد ضمانا لمنعتها ضد كل عدوان خارجي. لقد قارن العمري بين حصانة و أسوار كل من فاس القديمة و فاس الجديدة وخلص إلى: "... وتزيد فاس الجديد على فاس العتيقة في الحصانة والمنعة. والعتيقة بسور واحد من الحجارة،

٢٢. المسند الصحيح الحسن. ص ١١٦.
٢٣- تاريخ العمارة الإسلامية - ج IV. ص ٢٣٦.
٢٤- ورقات عن حضارة المرينيين. ص ٤٩.
٢٥- مسالك الأبصار. ص ١١٥.
٢٦- م ن. ص ص ١١٤-١١٥.
٢٧- م ن. ص ١١٥.
٢٨- فاس قبل الحماية- ج I. ص ١٠١.
٢٩- م ن. ص ١٠٢.
٣٠- وصف إفريقيا- ج I. ص ص ٢٨٢ – ٢٨٣. إفريقيا. ج II. ص ص ١٥٥-١٥٦. فاس قبل الحماية. ج I. ص ١٠٣.
٣١. روضة النسرين. ص ٢٠.
٣٢- مسالك الأبصار. ص ١٠٩.
٣٣- روض القرطاس. ص ٤٠٧.
٣٤- ورقات عن حضارة المرينيين. ص ٧٥.
٣٥- روضة النسرين. ص ٢٠.
٣٦- نفسه.
٣٧. جنى زهرة الآس. ص ٣٤.
٣٨. روضة النسرين. ص ٢٠.
٣٩- فاس قبل الحماية- ج I. ص ١٠٣.
٤٠- انظر: مسالك الأبصار. ص ١١٦ – صبح الأعشى. ج V. ص ١٥٥. وصف إفريقيا -ج I. ص ٢٨١. إفريقيا -ج II. ص ١٥٥.

والجديدة بسورين من الطين المفرغ بالقالب من التراب والرمل والكلس المضروب ، وهو أشد من الحجر ولا تعمل فيه المجانيق ولا تؤثر فيه"[41] ، وينقل عنه القلقشندي نفس الأوصاف[42] .

ويعزو صاحب "الذخيرة السنية" تأسيس أسوار فاس الجديدة إلى مؤسس المدينة أبو يوسف يعقوب[43] ، لكن الأستاذ المنوني يرى أن هذا التشييد إنما يخص السور الداخلي ، بينما "السور الثاني (الخارجي) فيبدو أن كله أو معظمه من تأسيس ملوك آخرين جاءوا بعده"[44] .

ويذهب الأستاذ محمد مزين إلى أن "السور الداخلي من بناء يوسف مؤسس المدينة أما السور الثاني فيبدو كله أو معظمه من تأسيس ملوك آخرين مرينيين جاؤوا بعده فقد ورد في بعض نسخ القرطاس أن أبا سعيد المريني الأول أدار الستارة على مدينته الجديدة التي سيذكر بعد أن أسسها بجوار البلد الجديد"[45] . كما أن السلطان احمد بن أبي سالم بني سياجا على البلد الجديد قصد حصار جيش الأمير عبد الرحمن المريني[46] ، مما يفيد أن بناء السور الخارجي كان إنجاز ملوك آخرين بعد مؤسس المدينة.

ويحاول الأستاذ مزين تتبع بقايا هذه الأسوار حاليا[47] فيرصدها على الشكل التالي: "وتشاهد بقايا السور الداخلي ميسرة المخترق لممر بوطويل ابتداء من جهة باب الجياف ، وتنقطع هذه البقايا عند نهاية سوق فاس الجديد وعلى مقربة من البويبة النازلة للبستان العمومي "جنان السبيل" ثم يظهر نفس السور في واجهة باب معمل "دار السلاح الحين" لينعطف خلف القصر الملكي ويحيط به خارج المدينة في شبه قوس إلى أن يختفي وراء الأسوار الحسنية بمشوار بو الخصيصات ثم يظهر بعد هذا حتى يتصل بباب السمارين.

أما السور الثاني للمدينة فيظهر منه الجانب الذي يقع قرب ساحة التجارة ، ويمر وراء الملاح إلى باب الجياف ثم يحيط بالبلد الجديد مطلا على شارع علال الفاسي ، وينعطف حتى يشرف على البستان العمومي ، إلى أن يتصل بباب السبع "باب المكينة" ، ويلاحظ أن هيأة السور تبدو عند نهاية شارع علال الفاسي في شكل مخروط ، وقد يدل هذا على أن هذا القسم من البلد أضيفت له زيادات مرينية ناشئة عن تكاثف في هذه الناحية"[48] .

ونظرا لأهمية هذه الأسوار فقد كانت أول ما بني في المدينة قبل مسجدها الجامع والأسواق وبقية المرافق.

ب- الأبـواب: كانت للأبواب خلال هذه الحقبة وظائف عسكرية واضحة فهي تضم أهم أبراج المراقبة و تعد أحد أهم نقط الحراسة فيها. و لم تعرض معظم المصادر التقليدية لأبواب فاس الجديد ، عدا ابن الأحمر الذي ذكر منها ثلاثة ، هي: باب القنطرة الذي تحول اسمه إلى باب الوادي ، و القريب من باب السبع ،وباب عيون صنهاجة في الطرف الأخير للسوق[49] ، و اكتفى مارمول بذكر ثلاثة أبواب دون تسميتها[50] .

لقد ذكر العلامة المنوني بأن أبواب فاس الجديد أربعة ، هي: باب عيون صنهاجة الذي عرف فيما بعد إلى الوقت الحالي بباب السمارين ، وباب القنطرة الذي أصبح بدوره يسمى باب الوادي ، و لايعرف لأنه اندثر ، في السور الأول ، ثم باب الجياف ، أو بتسمية البعض: باب الجياد ، شرق باب السمارين ، وباب السبع ، وهو باب المكينة حاليا ، في السور الثاني[51] .

ويؤيده في الرأي الأستاذ مزين حينما ذهب إلى أن: "... باب عيون صنهاجة حسب تسمية "روضة النسرين": باب السمارين الحالي ... ثم باب الوادي حسب تسميته في عصر مؤلف "روضة النسرين" بعدما كان يسمى باب القنطرة أوائل الفترة المرينية ... والبابان يوجدان بالسور الأول ، أما في السور الثاني فهناك باب الجياف وباب السبع أما باب الجياف الذي يسميه البعض "باب الجياد" وهو الواقع شرق باب السمارين ... ثم باب السبع المعروف حاليا بباب المكينة ، وكان هو مدخل فاس الجديد من جهة باب المدينة القديمة ..." [52] . وكل هذه الأبواب مرينية البناء[53] .

ومن خلال قراءة مواقع هذه الأبواب وعددها في كل سور يتبين لنا مدى الحاجة الشديدة التي كانت لدى الملوك المرينيين لتأمين المدينة وتحصينها ، كما استعملت أبراج باب السبع كسجن للدولة المرينية[54] .

ج - معسكرات الجيوش: تتألف من قصباب الجنود واصطبلات خيولهم. يذكر الوزان أن أبا يوسف يعقوب غداة تأسيسه للمدينة وتحديده لمرافقها عمل على تخصيص قسم ضم اصطبلات كبيرة للخيول وبنى "بجوار الباب الغربي عند السور الثاني رواقا كبيرا جدا وحجرات صغيرة عديدة تكون مقرا دائما لحارس المدينة مع جنوده ومستخدميه"[55] . في حين يذكر ابن الخطيب في معرض حديثه عن فاس الجديد المرينية ثلاث معسكرات للجنود هي "مقاعد الحرس" و"سقائف الترس والنصل" و "أهداف الناشئة أولي الخصل"[56] .

ويعتقد الأستاذ المنوني أن إشارة الحسن الوزان تقصد "قصبة الخميس المعروفة بقصبة شراكة فيما بعد ، فإن بقايا جزء كبير من سورها تعكس خصائص لا تختلف عن هيئة السور المحيط بالقصر المريني بما في ذلك الشرفات وأبراج التقوية ، مما يؤكد كون القصبة المذكورة مرينية البناء ، كما أن النقش الذي يتوج باب القسم الشرقي المتخذ مركزا لمستشفى ابن الخطيب اليوم يتسم بالطابع المريني ويبدو أنه كان يمثل المدخل الرئيسي للقصبة المرينية"[57] .

٤١-مسالك الأبصار. ص ١١٦.
٤٢. صبح الأعشى . ج V. ص ١٥٥.
٤٣-الذخيرة السنية. ص ١٦٢.
٤٤. ورقات عن حضارة المرينيين . ص ٤٥.
٤٥- فاس وباديتها. ج I. ص ٢٧١.
٤٦-تاريخ العمارة الإسلامية -ج IV. ص ١٠٥.
٤٧. انظر أيضا: ورقات عن حضارة المرينيين . ص ص ٤٤. ٤٥ .
٤٨-فاس وباديتها. ج I . ص ص ٢٧٠-٢٧١.
٤٩. روضة النسرين . ص ٢٠ .
٥٠-إفريقيا. ج II . ص ١٥٨.
٥١ . يذكر في مكان آخر أن موضع هذا الباب كان "عند مدخل السوق الحالي لفاس الجديد أوقريبا منه." .ورقات عن حضارة المرينيين . ص ٤٤ .
٥٢. ورقات عن حضارة المرينيين . ص ٤٦ .
٥٣- فاس وباديتها . ج I . ص ٢٧٢.
٥٤-ورقات عن حضارة المرينيين . ص ٤٦ .تاريخ العمارة الإسلامية . ج IV . ص ١٠٦.
٥٥. فاس في عصر بني مرين . ص ٧٨.
٥٦-وصف إفريقيا - ج I. ص ٢٨٢.
٥٧-معيار الاختيار. ص ١٧٦.
٥٨-تاريخ العمارة الإسلامية - ج IV. ص ١٠٩.

أما المعسكر الثاني المسمى بسقائق الترس والنصل فهو يهم "فرقة من الجيش تختص بذلك السلاح يحتل ثكنة جهة حي مولاي عبد الله من فاس الجديد، ويحتمل أن تضم تلك الثكنة أكثر من تلك الاختصاصات ... وقد أشار الحسن الوزان إلى أن يعقوب المنصور مؤسس الدولة المرينية قد شيد ضمن تلك المعسكرات اصطبلات كثيرة لخيله وعددا كثيرا من القصور لضباطه وحاشيته.

و يذهب الأستاذ المنوني إلى أن موضع تلك الإصطبلات كان بموضع نهاية حي مولاي عبد الله بفاس الجديد حيث لازالت سكة غير نافذة هناك تعرف إلى اليوم بدرب العودات قرب جامع مولاي عبد الله الأمر الذي يؤيده وجود باب هناك يعرف بباب العودة" [٥٩].

أما المعسكر الثالث المعروف بأهداف الناشئة أولي الخصل، فهناك من ربطها بـ "فرقة الغز الذين اتخذوا خصلة الشعر بأعلى أعلامهم ... كعلامة مميزة لهم بجيش المرينيين قد خلفوا اسمهم على ساحة التدريبات العسكرية وميدان التدريب الحربي" [٦٠].

ويتحدث مارمول عن إنشاء المرينيين كذلك لنفق تحت أرضي يربط قصبة فاس البالي بفاس الجديد [٦١]، وهذا الإجراء يكتسي بدون شك أبعادا أمنية، كما تم تحويل الماء من وادي فاس ليشكل خندقا يحيط بتحصينات المدينة [٦٢].

وبشكل عام فإن المصادر لا تسعف للتفصيل أكثر في هذا النوع من المنشآت رغم أن دور المدينة كان عسكريا بالدرجة الأولى. وتتلخص حصانة المدينة في مظهرها المعماري العام "فالشيء الذي يسترعي النظر هو خاصيته العسكرية (فاس الجديد) المتمثلة في وجود عدد قليل من الأبواب المحروسة بقوة إذا ما اعتبرنا باب السمارين القديم القائم في الطرف الجنوبي للطريق الكبرى، وفي السور المزدوج الذي يفصل بينه درب واسع للعسس حيث يستطيع عدد كثير من الجند أن يتمركزوا فيه في حمى من القذائف، الواقع على جزء كبير من الحافة وبخاصة جهة المدينة. هذه الأسوار ذات الشرفات التي كانت تضاف إليها من مسافة لأخرى أبراج متينة مربعة ذات شرفات كذلك، كانت لها قيمة عسكرية كبرى، نظرا لوسائل الهجوم في ذلك العهد، ولم تخل أيضا من جمال فيه شيء من السداجة والضخامة ..." [٦٣].

٣-مؤسسات دينية: المساجد:

تعد المساجد أهم المنشآت الدينية بفاس الجديد، وإذا أخذنا بعين الاعتبار بعض ملحقات المدينة المستحدثة على مشارفها، يمكن أيضا تعداد الزاوية المتوكلية المستحدثة سنة ٧٥٤ هـ [٦٤] من قبل أبي عنان [٦٥]. وبالنظر إلى مساحة فاس الجديد ومحدودية سكانها، فإن عدد المساجد فيها كان معدودا على رؤوس الأصابع، وجاء بناؤها تدريجيا، وقد توزعت على الشكل الآتي:

أ- الجامع الكبير: ورد في "روض القرطاس"[٦٦] و "الذخيرة السنية"[٦٧] أن تأسيس هذا المسجد كان سنة ٦٧٧ هـ. بينما لا تفصح المصادر الأخرى عن تاريخ التأسيس بالضبط مما دفع الباحثين إلى الاختلاف بشأن هذا التاريخ. ففي الوقت الذي ذهب فيه لوطورنو إلى أن تأسيس المسجد كان في نفس السنة التي تم فيها تأسيس المدينة أي سنة ٦٧٤ هـ[٦٨]، وهي نفس السنة التي يقرها ما سلوف[٦٩]، يذهب جورج مارسي إلى أن هذا التأسيس كان سنة ٦٧٥ هـ[٧٠]،غير أن المصادر والدراسات تتفق على أن مؤسس هذا الجامع هو يعقوب المنصور.

ويمدنا صاحب "الذخيرة السنية" بتفاصيل مهمة حول مراحل تأسيس هذا المسجد والمشرفين على ذلك ومصادر التمويل وصناعة تجهيزاته من محراب وثريا... [٧١]، ويقع هذا الجامع على مقربة من القصر الملكي. أما التفصيل المعماري لهذه المعلمة فنستقيه من عثمان عثمان إسماعيل الذي يرى أن تخطيط هذا المسجد يحقق "انتظاما ملحوظا وتناسقا هندسيا ويشغل مستطيلا مساحته ٥٤×٣٤ متر وبيت الصلاة فيه يزيد عمقا عن الاتساع على خلاف ما ذكر جورج مارسي، ويشتمل على سبع بلاطات أوسطها وهو بلاط المحراب أكثر سعة ومن سبعة أساكيب يتميز من بينها أسكوب القبلة بسعته وعقوده الموازية لحائط المحراب حيث تستند إليها عقود البلاطات التي تتجه عمودية نحو جدار القبلة. ويكاد يزيد اتساع الصحن عن العمق وتحيط به ثلاث مجنبات من الشمال والشرق والغرب، وعقود المجنبة الشمالية موازية للقبلة بينما عقود المجنبتين الشرقية والغربية عمودية." [٧٢].

وتتميز عقود بيت الصلاة بأنها "متجاوزة كاملة الاستدارة من أعلى ... وترتكز على دعائم مستطيلة المقطع ... وقد وضعت قبة عند بداية بلاط المحراب من جهة القبلة وأخرى عند نهايته من جهة الصحن، وهما قبتان ذاتا عقود متداخلة متقاطعة..." [٧٣] أما الصومعة المربعة فإنها تقع " بالركن الشمالي الغربي للتخطيط العام وتتحقق إضاءتها الداخلية عن طريق أربعة نوافذ مرتبة رأسيا على محور الواجهة الشمالية" [٧٤].

ب- مسجد الحمراء: تم تأسيسه في وقت لاحق بعد الجامع الكبير، ولا تذكر المصادر سنة تأسيسه، ويرجح لوطورنو أن يعود إلى السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر أو مطلع القرن الرابع عشر الميلادي [٧٥]، في حين يرجح جورج مارسي تأسيسه في عهد السلطان أبي الحسن [٧٦]. وبناءا على إشارة ابن بطوطة [٧٧] إلى إنشاء السلطان أبي عنان لمسجد جديد بالمدينة البيضاء، ذهب الأستاذ عبد الهادي

٥٩- تاريخ العمارة الإسلامية - ج IV. ص ١١٠.
٦٠-نفسه.
٦١-إفريقيا - ج II. ص ١٥٧.
٦٢. فاس في عصر بني مرين. ص ص ٣٣. ٣٤.
٦٣-فاس قبل الحماية. ج I. ص ١٠٣.
٦٤. أزهار الرياض. ج III. ص ١٩٧.
٦٥. م ن. ص ١٩٦. حول أوصاف هذه الزاوية و ميزاتها المعمارية المتفردة، انظر: فيض العباب. ص ص ٢٠٦. ٢١٠ و تحفة النظار. ج IV. ص ص ٢٠٢. ٢٠٣.

٦٦-روض القرطاس. ص ٤٠٥.
٦٧-الذخيرة السنية. ص ١٦٢.
٦٨-فاس قبل الحماية. ج I. ص ٩٨.
٦٩- تاريخ العمارة الإسلامية. ج IV. ص ١٢٤.
٧٠. نفسه.
٧١-الذخيرة السنية - ص ١٦٢.
٧٢. تاريخ العمارة الإسلامية. ج IV. ص ١٢٤.
٧٣. م ن. ص ص ١٢٤-١٢٥.
٧٤-م ن. ص ١٢٥.
٧٥-فاس قبل الحماية - ج I. ص ٩٩. فاس في عصر بني مرين. ص ٤٦.
٧٦-تاريخ العمارة الإسلامية – ج IV. ص ١٤٥.
٧٧. تحفة النظار. ج IV. ص ٢٠٢.

التازي[٧٨] إلى أن المقصود بهذا التشييد هو مسجد الحمراء ، ولا يستبعد الأستاذ المنوني نفس الحكم[٧٩]. ويقع هذا المسجد بجانب المحجة الكبرى لفاس الجديد ، وتتلخص أوصافه المعمارية في أن بيت الصلاة فيه يشتمل على "بلاط محوري فسيح وبلاطين آخرين شرقا وغربا مع امتداد البلاط الأخير في كل من الجانبين ليسير بطول الصحن إلى واجهة المسجد الشمالية...

إن أسكوب المحراب الفسيح عن بقية الأساكيب تتوسطه قبة خشبية أمام المحراب تقطع عقوده الموازية للقبلة امتداد عقود البلاطات التي تتجه عمودية نحو القبلة وتكون التغطية في أسكوب القبلة شرقا وغربا من قبة المحراب بواسطة أسقف خشبية قائمة على أربعة انحدارات حيث تتضافر جوائر البرشلة مكونة عناصر نجمية."[٨٠].

كما أن "عقد فتحة المحراب متجاوز منكسر... ويرتكز من كل جانب على عمود أسطواني ذي تاج وقاعدة من الرخام. ويحيط بالعقد الأساسي لفتحة المحراب عقد آخر مفصص ، وتفصل بين العقدين المذكورين صنج مزخرفة بالتناوب بزخارف هندسية وزهرية. ويحيط بمجموع العقدين إطار رئيسي يحصر بنيقات ذات زخارف نباتية من أوراق النخيل المزدوجة ... ويحيط بذلك كله إطار آخر من زخارف كتابية فوق خلفية زهرية."[٨١].

أما الصحن فيتميز بتخطيط مستطيل "... أبعادة ١٣.٧٠ طولا × ١١.٣٠ عرضا ويطل عليه من كل جانب ثلاثة عقود متجاوزة كاملة الاستدارة... مع تميز القوس الأوسط لبيت الصلاة المطل على الصحن بعقد مزدوج."[٨٢]. وتنفتح أبواب المسجد على الواجهتين الشرقية والغربية ، و يقع الباب الرئيسي منها بالواجهة الشمالية على نفس محور المحراب ، وكلها " أبواب بارزة على مستوى جدران المسجد وعقودها من أنوع المتجاوز المنكسر ... داخل إطار مستطيل فوق سقيفة ... يغطيها الزليج الأخضر مرفوعة على كوابيل .... من الخشب المنحوت المدهون."[٨٣].

أما صومعة المسجد فتقع "في الزاوية الشمالية الغربية للتخطيط ... وطول ضلع قاعدتها المربع ٤.٥٠ متر ، وارتفاعها ١٩.٢٠م بسمك سبعين سنتيمترا من البناء الآجر"[٨٤]. وقد استعملت في المسجد مواد بناء متنوعة ، حيث "أنشئ مجموع البناء بالآجر وكسى داخله وخارجه بالملاط المكون من الجير والرمل."[٨٥].

ج- مسجد الزهـر: يرجع تأسيسه إلى عهد السلطان أبي عنان سنة ٧٥٩ هـ[٨٦] ، و هو جامع الحجر قديما[٨٧] ، ويقع في الطرف الجنوبي الشرقي لفاس الجديد في مقابلة أسوار القصر السلطاني. وعلى الرغم من صغر مساحته فإنه يعتبر "من أجمل منشآت المرينيين بفاس ، بل أن مدخله الذي نقشت زينته الفنية وزخارفه الهندسية من الحجر ليعتبر مثالا فريدا بين مآثر فاس على الإطلاق"[٨٨].

ومن حيث التفصيل المعماري لهذا المسجد ، فإن مدخله الرئيسي يقع "بالواجهة الشمالية (الرئيسية) على محور الصحن والمحراب وعقده ومنكسر يحيط به عقدان من نفس النوع. وقد شغلت المساحة بين العقد الأساسي والعقدين المحيطين به بعناصر زخرفية ذات ثلاثة فصوص مع وجود شريط خارجي من الزخرفة الكتابية فوق أرضية زهرية (نباتية) وقد تفرغت في البنيقات زخارف نخيلية. وقد توج المدخل بظلة أو سقيفة ... من المقرنصات المحفورة في الحجر لحماية روائع المدخل من الشمس والمطر حيث نرى صفا من الكوابيل محمولة على مجموعة من الأعمدة المزدوجة بينهما خمسة أقواس ثلاثية الفصوص تشكل حشوات فنية من الزخرفة الهندسية يتوسطها نقش التأسيس باسم السلطان أبي عنان."[٨٩].

أما التخطيط العام للمسجد فإنه "يكاد يكون مربع الشكل ، ومنذ البداية يتصل المدخل الرئيسي بصحن مربع المساحة طول ضلعه ٦.٦٠ مترا تحيط به مجنبة واحة من رواق واحد شرقا وغربا. ويعيد بيت الصلاة بتخطيطه ذكريات مساجد الإسلام المبكرة حيث يقتصر على أسكوبين اثنين عقودهما موازية للقبلة وثلاث بلاطات فقط ... وفتحة المحراب تتكون من عقد متجاوز منكسر على أعمدة رخامية أسطوانية بدون قواعد ويحيط به إطار يضم زخارف من البالمت المزدوجة في البنيقات ، ويحيط بذلك إطار خارجي آخر من الزخارف الكتابية الكوفية تظهر بأركانه العليا زهيرات هندسية الشكل."[٩٠].

وتقع الصومعة في الجدار الشمالي الشرقي في مقابل أسكوب المحراب "... وهي مربعة التخطيط كالعادة ويبلغ طول ضلع مربعها ٣.٥٠ مترا وارتفاعها ١٦.٨٥ مترا ، ويدور سلمها حول نواة داخلية مربعة طول ضلعها مترا واحدا تقريبا. وعزري الصومعة يكاد يكون مربعا هو الآخر ١.٦٩ × ١.٦٢ بارتفاع ٤.٢٥ مترا وتزدان أوجه الصومعة الخارجية بشبكات المعينات فوق خلفية من الآجر. ويحيط بتلك العناصر الزخرفية بكل واجهة إطار من الخزف كحزام كامل يدور بها"[٩١].

د- مسجد الغريبة: يذكر لوطورنو أنه تأسس سنة ٨١٠ هـ[٩٢]. ولا يستبعد الأستاذ المنوني أن يكون هو جامع الرياض سابقا[٩٣] ، و أن إنشاءه كان في مطلع القرن التاسع الهجري في عهد السلطان المريني أبي سعيد الثاني ، كما يذكر ، بناءا على دراسة لألفرد بل ، أن جامع الغريبة كان يسمى في البداية مسجد السوق الكبير ، وأنه من تأسيس القائد عبد الله الطريفي حاجب السلطان المذكور[٩٤].

هـ- جامع العباسيين: يعده الأستاذ المنوني من بين مساجد فاس الجديد ، وكان موجودا قبل بناء المسجد السابق حيث ورد ذكره بنص

٧٨.م ن . هامش رقم ١٢٣. ص ٢٠٢.
٧٩.ورقات عن حضارة المرينيين . ص ٥٤.
٨٠.تاريخ العمارة الإسلامية - ج IV . ص ص ١٤٥.
٨١.م ن . ص ص ١٤٥. ١٤٦.
٨٢.م ن . ص ١٤٦.
٨٣.نفسه.
٨٤-نفسه.
٨٥.م ن . ص ١٤٥.
٨٦- ورقات عن حضارة المرينيين . ص ٥٢.تاريخ العمارة الإسلامية - ج IV . ص ١٥٨. فاس قبل الحماية. ج I . ص ٩٩.
٨٧.ورقات عن حضارة المرينيين . ص ٥٢.
٨٨-تاريخ العمارة الإسلامية -ج IV . ص ١٥٨.
٨٩.نفسه.
٩٠.نفسه.
٩١- تاريخ العمارة الإسلامية - ج IV . ص ١٥٩.
٩٢- ورقات عن حضارة المرينيين . ص ٥٣.فاس قبل الحماية - ج I . ص ٩٩.
٩٣.ورقات عن حضارة المرينيين . ص ٥٢.
٩٤- ورقات عن حضارة المرينيين . ص ص ٥٢. ٥٣.

وقفية جامع الغريبة تحت اسم مسجد الصفصاف بينما يجهل مؤسسه[٩٥].

يمكن أيضا إضافة جامع الجنائز الملحق بالمسجد الكبير والذي دفن فيه أبو عنان وخطيب المسجد محمد أبو سعد على التوالي سنوات ٧٥٩ هـ و ٤٦٠ هـ[٩٦]، وجامع البيضاء الذي لا يعرف مؤسسه[٩٧].

عموما فإن جملة المساجد التي وجدت بفاس الجديد طيلة العهد المريني تبقى محدودة، كما أنها متواضعة الحجم من حيث المساحة وطول الصوامع وضخامتها، وهي خاصية عامة ميزت المساجد المرينية بالمقارنة مع نظيرتها الموحدية. وعلى العكس من ذلك، اهتم المرينيون بالبلاط المنطلق من المحراب إلى باب الصحن بإيداعه روائع فنونهم وزخارفهم ونقوش كتابية أو تصويرية على جبس قبتي المحراب والصحن أو الأعمدة أو نوعية الثريات المعلقة، كما اهتموا بالأسكوب الأول المنطلق من يمين المحراب إلى شماله، وبذلك استطاعوا أن يتركوا بصماتهم واضحة داخل المنشآت التي أقاموها، ومنها المساجد التي ما تزال إلى اليوم شاهدة على المدى الذي بلغه الفن المعماري المغربي في هذا العهد سواء على مستوى التخطيط والهندسة أو الزخارف والنقوش.

٤- مرافق اقتصادية

يبدو أن فاس الجديد لم تكن لها نفس الأهمية الاقتصادية التي اكتسبتها فاس العتيقة على مر العصور كمركز اقتصادي كبير. فتركز وتعدد و قدم مختلف الصنائع والحرف و انعقاد أهم الصفقات التجارية بها، جعل المرافق الاقتصادية بفاس الجديد تقتصر على ما يلبي حاجة سكانها القلائل بالقياس مع فاس القديمة، أو بعض المنشآت ذات الأهمية الخاصة مثل دار السكة. ويمكن تناول هذه المرافق كما يلي:

أ- دار السكة: وهي مركز ضرب العملة، وقد أسسها يعقوب المنصور قرب القصر الملكي بعدما نقل مكانها من قصبة النوار بفاس القديمة إلى عاصمته فاس الجديد. وهي "على هيئة مكان مربع محاط ببعض الحجرات الصغيرة حيث يسكن عمال دار السكة، وفي وسط هذه البناية يقع ناظر الدار مع العدول والكتاب وبالقرب من هذه الدار توجد دكاكين الصياغين مع الأمين الذي تعرض عليه المصنوعات ويضع طابعه على المقبول منها"[٩٨].

ب- الأسواق: يتفق كل من ابن الأحمر وصاحب "الذخيرة السنية" على أن أبا يوسف يعقوب لما فرغ من بناء سور المدينة أمر ببناء بقية المرافق الضرورية ومنها الأسواق التي شغلت ما بين باب القنطرة إلى باب عيون صنهاجة[٩٩]، ويذكر الحسن الوزان أنها كانت تضم مختلف أصناف التجار والصناع[١٠٠].

ج- الفنادق: لا تسعفنا المصادر في توطين هذا النوع من المؤسسات داخل فاس الجديد، لكن مارمول يشير إلى أن المدينة كانت تحتوي على " فندق كبير (دار الصناعة) كان من عادة الأسرى المسيحيين أن يصنعوا فيه أدوات الحديد وأشياء أخرى تحت إمرة إسلاميين من غرناطة والأندلس وغيرهما، كانوا يصنعون الأسلحة والذخيرة[١٠١]". ولا يستبعد وجود هذا الفندق وغيره منذ الحقبة لأن الفنادق كانت رديفة الأسواق، فحيثما توطنت هذه حطت الأخرى الرحال بجانبها، وشدت إليها الرواحل من كل صوب.

د- المخازن: شحت المصادر بذكرها هي الأخرى، ونستقي بعض الإشارات المحدودة التي لا تكفي لتأليف صورة كاملة حول هذه المرافق، إلا أنها تثير الانتباه إلى وجودها في العهد المريني. يذكر صاحب "سلوة الأنفاس" أن مخازن الدولة المرينية كانت "توجد في القسم الذي كانت فيه أيضا دار السكة من فاس الجديد"[١٠٢]، ويذكر روجي لوطورنو في سياق تعداده لبعض الآثار الدالة على العهد المريني "بناية كانت تقوم مقام مخزن للحبوب ثم أصبحت سجنا باسم حبس الزبالة.."[١٠٣].

ويمكن إضافة مرافق أخرى مثل الطواحين[١٠٤]، وغيرها، لكنها بدون شك كانت قليلة مما دفع المصادر إلى الإحجام عنها، مقابل حديثها المفصل بالأرقام عن نظيرتها بفاس القديمة[١٠٥].

٥- مؤسسات مدنية

تعددت المنشآت العامة بفاس الجديد ومن بين ما اشتملت عليه:

أ-مدرسة دار المخزن: ينسب ابن مرزوق تأسيسها للأبي سعيد المريني١٠٦، ويصفها هي و مدرسة القرويين بأن "لا مثيل لهما في الإحسان و تأنق الصنائع". وجاء في "روض القرطاس" أن هذا السلطان أمر ببناء تلك المدرسة بفاس الجديد سنة ٧٢٠ هـ[١٠٧]، وهي المدرسة المرينية الوحيدة بالمدينة.

وأشار ابن أبي زرع إلى العناية التي حظيت بها هذه المدرسة من قبل السلطان أبي سعيد: "ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم وأجرا عليهم المرتبات والمؤونة في كل شهر، وحبس عليها الرباع والمجاشر"[١٠٨]. وتنتمي هذه المدرسة حسب الدكتور عثمان عثمان إسماعيل إلى المجموعة الأولى من المدارس المرينية التي انطلقت مع بداية الدولة المرينية وكانت تتميز ببساطة تخطيطها وخلوها من التعقيد.

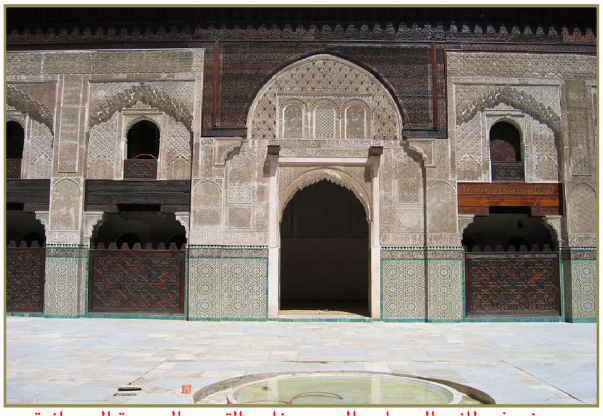

نموذج للفن المعماري المريني بفاس القديم: المدرسة البوعنانية

٩٥-م ن. ص ٥٣.
٩٦-م ن. ص ١٨١.
٩٧. ورقات عن حضارة المرينيين. ص ٥٤.
٩٨-الذخيرة السنية. ص ١٦٢.
٩٩- نفسه. روضة النسرين. ص ٢٠.
١٠٠-وصف إفريقيا - ج I. ص ٢٨٢.
١٠١-إفريقيا - ج II. ص ١٥٧.
١٠٢-فاس وباديتها - ج I. ص ٢٩٢.
١٠٣-فاس قبل الحماية. ج I. ص ١٠٤.
١٠٤-إفريقيا - ج II. ص ١٥٩.
١٠٥-انظر: جنى زهرة الآس للجزنائي. ص٤٤ - روض القرطاس. ص ص ٤٨. ٤٩ -وصف إفريقيا. ج I. ص ص ٢٣٣. ٢٣٧ - إفريقيا - ج II. ص ص ١٤٨. ١٥٥.
١٠٦. المسند الصحيح الحسن. ص ص ١٢٢ و ٤٠٥.
١٠٧-روض القرطاس. ص ص ٤١١-٤١٢.
١٠٨-نفسه.

ويطلعنا نفس الباحث على صفتها المعمارية بدقة ، بقوله: "... تخطيط هذه المدرسة عبارة عن صحن مستطيل على جانبيه بيوت الطلبة من طابق واحد بواسطة صهريج ... ويتصل من ناحية القبلة ببيت الصلاة. ويشتمل بيت الصلاة في هذه المدرسة على أسكوبين. أما أسكوب المحراب فيبلغ طوله ١٤.٥٠ مترا (وهذه المسافة تمثل طول جدار القبلة). أما الأسكوب الثاني وهو المطل على صحن المدرسة فلا يزيد طوله عن ١١ متر فقط بنقص ثلاثة أمتار ونصف على طول أسكوب المحراب ، فإذا نظرنا إلى التخطيط العام للمدرسة من أعلى أو من الخارج وجدنا أنه عند اتصال بيت الصلاة بالصحن يعود مرة أخرى إلى الاتساع بل وإلى نفس اتساع أسكوب المحراب حيث يسير الحائط الشرقي والحائط الغربي للمدرسة ابتداء من بداية الصحن (من ناحية بيت الصلاة) على امتداد الحائط الشرقي والحائط الغربي لأسكوب المحراب تماما ، ويستمر هذا الاتساع إلى الحائط الشمالي الغربي للمدرسة. أما من الداخل فإن الأسكوب الشمالي ببيت الصلاة والمنقوص في طوله يفتح على صحن يمثل اتساعه فقط ، بحيث تكون واجهة بيوت الطلبة المطلة على الصحن من الشرق والغرب تسير تقريبا على امتداد الحائط الغربي للأسكوب الأول من جهة الصحن ، وبهذا يكون عمق كل بيوت الطلبة يشغل المسافة المحصورة بين الحائط الخارجي للمدرسة وبين واجهة بيوت الطلبة المطلة على الصحن ، ويساوي أيضا المسافة التي قطعت من كل جانب من الجوانب الشرقية والغربية للأسكوب الشمالي ويساوي أيضا الزيادة التي زادها أسكوب المحراب عن الأسكوب المقصوص في كل جانب من جوانبه الشرقية والغربية..." [١٠٩].

مدرسة العطارين

ب- مؤسسات أخرى: بالإضافة إلى ما سبق تؤكد جل المصادر دون تفصيل أن المدينة توفرت على عدة مرافق أخرى من بينها الحمامات ، خاصة الحمام الكبير [١١٠] الموصوف بالعظمة [١١١] . كما توجد بعض المنشآت العمرانية الأخرى الملحقة بفاس الجديد ، و منها صنف من العمارة الجنائزية المسمى قبيبات بني مرين التي أصبحت مدفنا للسلاطين المرينيين منذ أن دفن بها السلطان أبو سالم سنة ٧٦٢ هـ ، وما تزال بعض آثارها بارزة إلى اليوم [١١٢] . و عرفت فاس الجديد ببساتينها و رياضاتها ومنها حديقة المصارة وعرصة للامينة وروض الغزلان [١١٣] ، بالإضافة إلى ملاعب الرياضة والفرجة ومجالس الحكم والاستشارة [١١٤] ، كمجلس أهل الشورى بالمشور ومجلس العرض ببرج الذهب [١١٥] ، ثم نواعير المدينة الخمس التي أضافها أبوعنان إلى الدولاب الكبير الذي طارت شهرته في الآفاق ونظمت حوله الأشعار [١١٦] . هذا فضلا عن قنوات توزيع المياه [١١٧] ، و السقايات وغيرها من أصناف العمارة.

٦- الدور والبيوت

يصف العمري أبنيته عامة الناس بفاس الجديد ويشير إلى تميزها على بناء فاس البالي بأن غالبها يتخذ بالقالب ".... وسقوفها بالأخشاب وربما قرنصت بعض السقوف بالقصدير والأصباغ الملونة ، وتفرش بالرخام دياراتهم وبالزليج وهو نوع من الآجر كالقاشاني بأنواع الألوان .... وغالبه الأزرق الكحلي ومنهم من يتخذ منه وزرات لحيطان الدور ، وأما دور هؤلاء فتفرش بآجر يسمى المزهري ، ولأهل فاس ولع ببناء القباب ، فلا تخلو دار كبيرة في الغالب من قبتين أو أزيد وصدرة تفسير أبنية دورهم: مجالس متقابلة على عمد من حجر وآجر ورفاف مطلة على صحن الدار ، وقدامها طفافير يجري إليها الماء ثم يخرج إلى بركة في وسط الصحن وتسمى البركة عندهم صهريجا. وغالب أعيانهم يعلمون لهم حمامات في بيوتهم ... ولهم تأنق في البناء ، وهم لا تقصير بهم عن الغاية فيه" [١١٨] .

يضيف الدكتور عثمان عثمان إسماعيل أن "فكرة التخطيط الأساسية في الطوابق السفلى للمساكن المرينية .... صحن فسيح يتوسطه صهريج تنحدر إليه الأمواه وتحيط بالصحن بوائك ترتكز عقودها على سوار (أعمدة) من الحجر أو الآجر ، وكثيرا ما تكون أعمدة من الرخام الرقيق منحوتة تيجانها ، وخلف (البوائك) سقيفة في كل جانب تغطيها أسقف منحدرة تعلوها قوالب القرمود الأخضر ، وتحتل جانبي البناء الطويلين قبتان متناظرتان فسيحتان ، وتقع على الجانبين الضيقين قبتان أخرتان أصغر مساحة ..." [١١٩] .

ولم يتسنى انتشار الدور بفاس الجديد إلا بعد إذن السلطة المرينية ، وشمل الأعيان ورجال الدولة ومن يواليهم من الأشياع ، ومن تم فإن هذه الدور انقسمت حسب الانتماء الاجتماعي كما توسعت لاحقا إلى أرباض تحيط بالمدينة.

١٠٩- تاريخ العمارة الإسلامية - ج IV .ص ص ٢٢٠ – ٢٢١.
١١٠ .روضة النسرين. ص ٢٠.
١١١-الذخيرة السنية. ص ١٦٢.

١١٢-- تاريخ العمارة الإسلامية - ج IV . من ص ١٨١ إلى ص ١٨٧.
١١٣-م ن. ص ٢٤٨ .ورقات عن حضارة المرينيين . ص ص ٥٧. ٥٨ و ٦٢ .
١١٤-معيار الاختيار. ص ١٧٦.
١١٥-تاريخ العمارة الإسلامية - ج IV . ص ٢٤٣.
١١٦-معيار الاختيار. ص ١٧٦ – إفريقيا . ج II . ص ١٦٠.فيض العباب. ص ص ١٧٥. ١٨٠ و ٢١١. ٢١٣ -فاس وباديتها - ج I . ص ٢٦٢.
١١٧-إفريقيا - ج II . ص ١٥٩.
١١٨-مسالك الأبصار. ص ص ١١٧-١١٨.
١١٩-تاريخ العمارة الإسلامية- ج IV . ص ٢٤٤.

استنتـــاجـــات

بعد هذا العرض السريع لأهم المعالم العمرانية التي أثنت فضاء فاس الجديد في عصر بني مرين، يمكن أن نسجل حولها مجموعة من الملاحظات:

- إن الفن المعماري المغربي في عهد بني مرين بلغ أوجه من خلال تطور أشكال الزخرفة سواء على الخشب أو الجبس أو الرخام أو غيره من مواد البناء كما أن طبيعة منشآتهم ودقة تخطيطاتهم تتم عن تطور كبير في فن الهندسة المعمارية خلال هذه الفترة وكان لفاس الجديد نصيب مهم من هذه الفنون.
- إن الفن المعماري المريني بشكل عام تميز عن غيره بطابع تجلى في التركيز على خاصية الرونق والدقة و كثافة الزخرفة الشاملة لكل المساحات و المواد عوض الضخامة التي ميزت العمارة الموحدية مثلا، وتكمن أهمية هذا التحول في كونه شكل ذروة الإبداع في الفن المعماري بالمغرب الذي ما زال يتميز به لحد الآن.
- لا يمكن تجاهل دور الخبرة الأندلسية في مجال العمارة المرينية. وتأثيرها كان حاضرا بقوة سواء في شخص المسلمين الوافدين على فاس أو في شخص الأسرى المسيحيين. وتؤكد لنا المصادر دور هؤلاء في العديد من الأعمال، يذكر صاحب "الذخيرة السنية" أن بناء المسجد الكبير ثم بأيدي الأسرى الروم المستقدمين من الأندلس[١٢٠]، بينما تم صنع الدولاب الكبير المشهور على يد المهندس الإشبيلي محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج[١٢١].
- إن بناء فاس الجديد لم يأت، كما في حالة العديد من المدن، استجابة لضرورة اقتصادية أو ديمغرافية وإنما كان بدافع سياسي وأمني يجيب عن حاجة الدولة الجديدة إلى مشروعية عملية، ويؤمن الحكام الجدد من أي عدوان محتمل، ومن تم كانت وظيفة المدينة إدارية وعسكرية بالدرجة الأولى.
- أن فاس الجديد، رغم الاهتمام والعناية الرسميين اللذين حظيت بهما، لم تستطع تجاوز فاس البالي ولا التأثير على دوره التاريخي الذي استمر كمركز ديمغرافي هائل ومحور اقتصادي لا غنى عنه يستأثر بأهم الأنشطة الاقتصادية، وبذلك أضحت فاس الجديد بطبيعتها السلطانية والعسكرية، مدينة نخبوية من خلال محدودية مرافقها العامة مقابل تعدد القصور والمعسكرات.
- عمد المرينيون في سياستهم العمرانية، إلى تفادي أسباب النزاع مع ساكنة فاس البالي، فاستغنوا عن أخذ المياه من وداي فاس رغم قربه من المدينة وجلبوا إليها الماء من عين عمير بسهل سايس المجاور[١٢٢].
- إن إضافة فاس الجديد إلى حاضرة المدينة الأصلية جعل من فاس مركبا حضريا وبشريا ضخما تألف من عدة مدن، وجعل فاس تعزز مكانتها في أداء دور بالغ الأهمية في حقبة طويلة من تاريخ المغرب سواء كعاصمة سياسية أو مركز اقتصادي وعلمي أو تجمع بشري وعمراني لا تزال تحتفظ بجزء كبير منه إلى يومنا هذا.

١٢٠- الذخيرة السنية. ص ١٦٢.
١٢١- فاس وباديتها- ج I. ص ٢٦٢.
١٢٢- روضة النسرين. ص ٢٠.

بقايا إحدى الناعورات المرينية بفاس الجديد

بيبلـوغـرافيـا

١- ابن أبي زرع، علي الفاسي "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" دار المنصور للطباعة والوراقة — الرباط- ١٩٧٢.

٢- ابن أبي زرع، علي الفاسي "الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية" دار المنصور للطباعة والوراقة — الرباط- ١٩٧٢.

٣. ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل "النفحة النسرينية واللمحة المرينية" منشور إلكتروني بموقع الوراق: www.alwaraq.com

٤. ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل "روضة النسرين في دولة بني مرين" المطبعة الملكية. الرباط. ١٩٦٢.

٥. ابن بطوطة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي "تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار" تحقيق عبد الهادي التازي. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية. سلسلة التراث. ١٩٩٧ (الجزء الرابع).

٦. ابن الحاج، النميري "فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب" دار الغرب الإسلامي- بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٠.

٧. ابن الخطيب، لسان الدين السلماني "كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار" تحقيق محمد كمال شبانة - مطبعة فضالة — المحمدية- بدون تاريخ.

٨. ابن الخطيب، لسان الدين السلماني "الإحاطة بأخبار غرناطة" تحقيق محمد عبد الله عنان — الشركة المصرية للطباعة و النشر — القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٧٧ (الجزء الرابع).

٩. ابن الخطيب ، لسان الدين السلماني "اللمحة البدرية في الدولة النصرية" المطبعة السلفية .القاهرة ١٣٤٧ هـ .
١٠. ابن خلدون ، عبد الرحمان "ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" ضبط خليل شحادة .مراجعة سهيل زكار .دار الفكر .بيروت ٢٠٠٠.
١١-ابن فضل الله ، أحمد بن يحي العمري "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" من الباب ٨ إلى الباب ١٤- تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد —طبعة ١٩٨٨.
١٢ .ابن مرزوق ، محمد التلمساني "المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن" تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع .الجزائر . ١٩٨١.
١٣.الجزنائي ، علي "جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس" تحقيق عبد الوهاب بن منصور .المطبعة الملكية .الرباط .الطبعة الثانية ١٩٩١.
١٤- عثمان عثمان إسماعيل "تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى" الجزء الرابع: عصر الدولة المرينية و دولة بني وطاس .مطبعة المعارف الجديدة —الرباط .الطبعة الأولى ١٩٩٣.
١٥ .القلقشندي ، أبو العباس أحمد "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" المطبعة الأميرية . القاهرة . ١٩١٥ (الجزء الخامس).
١٦.طوريس ، ديغو دي "تاريخ الشرفاء" ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر .مطابع سلا ١٩٨٨.
١٧.الكتاني ، محمد بن جعفر بن إدريس "سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس" تحقيق محمد بن حمزة بن علي الكتاني .الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس .رقم: ٤ . ٢٠٠٥ (الجزء الثالث).
١٨- كربخال ، مارمول "إفريقيا" ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي — محمد زنيبر- محمد الأخضر- أحمد توفيق — أحمد بنجلون — مطبعة المعارف الجديدة .الرباط — ١٩٨٨- ١٩٨٩(الجزء الثاني).
١٩. لوطورنو ، روجي "فاس الجديد في عصر بني مرين" ترجمة إلى العربية: نيقولا زياده —مكتبة لبنان- بيروت ١٩٦٧.
٢٠- لوطورنو ، روجي "فاس قبل الحماية" ترجمة إلى العربية: محمد حجي — محمد الأخضر — دار الغرب الإسلامي- بيروت . ١٩٨٦(الجزء الأول).
٢١- مزين ، محمد "فاس وباديتها — مساهمة في تاريخ المغرب السعدي ١٥٤٩ م — ١٦٣٧م" منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية — مطبعة المعارف الجديدة . الرباط- الطبعة الأولى ١٩٨٦(الجزء الأول).
٢٢.المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني "أزهار الرياض في أخبار عياض" الجزء الثالث . تحقيق مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ الشلبي .مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر .القاهرة ١٩٤٢.
٢٣.المنوني ، محمد "ورقات عن حضارة المرينيين" منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط .سلسلة بحوث و دراسات رقم: ٢٠ . مطبعة النجاح الجديدة .الدارالبيضاء .الطبعة الثالثة . ٢٠٠٠.
٢٤- الوزان ، الحسن بن محمد الفاسي "وصف إفريقيا" ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر - دار الغرب الإسلامي — بيروت —الطبعة الثانية ١٩٨٣.

رابطة الآثريين بالإسكندرية

مؤسس الرابطة
الباحث الأثري علاء جابر

فكرة الإنشاء

جاءت فكرة إنشاء الرابطة منذ بداية البحث عن أي نقابة تخص الآثاريين ولكن دون جدي، ففكرنا ببدء العمل بأنفسنا بتكوين رابطة تضم آثاريين الإسكندرية، ومنها إلي باقي المحافظات حتى نستطيع أن نطالب بإنشاء نقابة تهتم بمشاكلنا.

أهداف الرابطة

- **إيجاد اتصال مباشر بين طلبة وخريجي الآثار بالمراكز الأثرية بالإسكندرية.**
- **عمل تدريبات عملية للطلبة وحديثي التخرج التي تؤهلهم للعمل في الحقل الأثري.**
- **إلقاء الضوء علي المناطق الأثرية المعروفة وغير المعروفة لعامة الجمهور لزيادة الوعي الأثري.**
- **العمل بقدر المستطاع علي توفير فرص عمل في المجال الأثري عن طريق الاتصال بهيئة الآثار وشركات السياحة وجميع الجهات المهتمة بالآثار.**
- **إقامة المؤتمرات والندوات لمتابعة كل ما هو جديد.**
- **عمل رحلات علي مدار العام للمناطق الأثرية بمصر.**
- **بحث مشاكل الطلبة والخريجين والعاملين بالمجال الأثري ومحاولة علاجها.**

itagaber@gmail.com